الاستراتيجية الغربية لتنفيذ تصريح بلفور عام ١٩١٧م

أ.م. د. وئام شاكر غني عطره
كلية التربية للبنات قسم التأريخ-جامعة بغداد
Wiam2009@yahoo.com

الملخص

وادركت بريطانيا ان نظرية حل المسألة اليهودية لن يتم بالهجرة والاستيطان فحسب، وإنما أيضا بمساعدة واعتراف دولي يضمن الحقوق القومية لليهود ، فكانت سياساتها منصبة على الاحداث التي رافقت اعلان تصريح بلفور، فكانت الاتفاقيات السرية بين دول الغرب في مراسلات حسين – مكماهون في عام ١٩١٦ هي اول مقدمات تنفيذ التصريح ،وعلى أثر ذلك أعلنت الثورة العربية في عام ١٩١٦ تخللها الاتفاق السري بين فرنسا وبريطانيا ومصادقة روسيا على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا الذي عرف فيما بعد بأتفاقية سايكس بيكو، التي مهدت لاعلان تصريح بلفورعام١٩١٧.

The Western strategy to implementation of the Balfour Declaration in 1917

Assist. Prof. Dr. wiam Shaker Gahni
College of Education for Wome- University of Baghdad

Abstract

This era of the history of Iraq and its relations with Britain, especially after the end of the First World War witnessed the fall of the Ottoman Empire and the division of its property between the victorious Allies in the war by holding treaties and agreements to divide the Fertile Crescent. Sykes - Picot 1916, divided the Levant to the influence of British and French, the internationalization of Palestine.

As impact of these attitudes, the British issued the Balfour Declaration on November 8th, 1917 stating: "His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people,…"

This declaration was made as a response to Britain's long-term interests in planting the Zionist entity in the heart of the Arab world to divide it and weaken it politically and to defend the Suez Canal for the British interests and the protection of the route leading to India.

The issuance of the Balfour Declaration met with anger of the Arabs and popular indignation. The Muslim community in London emphasized on the importance of Jerusalem in the eyes of Muslims as a holy land, which is not less than the Holiness of Mecca and Medina. It was injustice to put the Holy of Holies in Islam under Jewish control.

المقدمة:

واجهت منطقة الشرق الأوسط تحديات تصفية الاستعمار ، الحرب ، الاستقرار و السلم ، الا ان الرهانات الخاصة بالمنطقة، فسرت وضعها المعقد في العلاقات الدولية و الاستراتيجية الإقليمية على امتداد القرن العشرين.

كانت الاستراتيجية البريطانية قائمة على تنظيم العلاقات السياسية والاقتصادية مع دول المشرق العربي بشكل يضمن مصالحها في المنطقة ويهئ لها اجواء مناسبة لتنفيذ سياستها وحماية ممتلكاتها استعمال اسلوب

التعاهد والاتفاق مع الطرف الاخر بشكل يضمن جميع حقوقها.

واستندت بريطانيا إلى نظرية مفادها أن حل المسألة اليهودية لن يتم بالهجرة والاستيطان فحسب، وإنما أيضا بمساعدة واعتراف دولي يضمن الحقوق القومية لليهود.

أنجز البحث لتسليط الضوء على الاحداث التي رافقت اعلان تصريح بلفور، فكانت الاتفاقيات السرية بين دول الغرب في مراسلات حسين - مكماهون هي اول مقدمات تنفيذ التصريح ،وعلى أثر ذلك أعلنت الثورة العربية في عام ١٩١٦ تخللها الاتفاق السري بين فرنسا وبريطانيا ومصادقة روسيا على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا الذي عرف فيما بعد بأتفاقية سايكس بيكو، التي مهدت لاعلان تصريح بلفور في عام ١٩١٧.

طرح البحث مجموعة تساؤلات حاولنا الاجابة عنها قدر الامكان جاء في هذه التساؤلات:

١- ماهي الوعود البريطانية التي أعطيت الى العرب مقابل وقوفهم بوجه الدولة العثمانية فيالحرب العالمية الاولى؟

٢- هل نفذت بريطانيا وعودها بعد انتصار الحلفاء في الحرب؟

٣- بماذا تميزت السياسة البريطانية الممهدة لاعلان تصريح بلفور؟

٤- ماذا حقق تصريح بلفور؟

الاتفاقيات السرية بين دول الحلفاء لتقسيم المشرق العربي في الحرب العالمية الأولى:

تطورت الاحداث السياسية عشية قيام الحرب العالمية الأولى و كانت الدولة العثمانية منهكة ، لسبب ما شهدته في السنوات التي سبقت الحرب من ثورات واضطرابات داخلية فمنذ مجيء الاتحاديين إلى الحكم بعد انقلاب عام ١٩٠٨ وما رافقها من اضطرابات سياسية وأزمات في منطقة البلقان بعد اتحاد بلغاريا ، اليونان ، الجبل الأسود وصربيا ، وانتصارهم على الدولة العثمانية بعد تداعياتها ، ومن ثم الحرب العثمانية – الإيطالية في عام ١٩١١-١٩١٢ ، التي فقد العثمانيون على أثرها سيطرتهم الاسمية على طرابلس الغرب على وفق معاهدة لندن في عام ١٩١٣ التي حصرت املاك الدولة العثمانية في اوربا بالقسطنطينية وشبه جزيرة غاليبولي ،كما وتمكن السفير الالماني في استانبول وبمساعدة وزيرالحربية انور باشا من اقناع الحكومة والسلطان بالموافقة على معاهدة تحالف سرية عرفت بمعاهدة القسطنطينية يوم الثاتي عشر من آب في

عام ١٩١٤[١] وكانت المانيا تهدف من هذا التحالف : اغلاق المضايق العثمانية في البحر الاسود وبحر مرمرة، ومنع وصول الامدادات العسكرية الى روسيا ،وكسب المسلمين في انحاء العالم كافة الى جانبها وذلك في اعلان الجهاد المقدس الى جانب الدولة العثمانية ، فضلاً عن دفع الدولة العثمانية الى احتلال منطقة القفقاس وفتح جبهة جديدة امام روسيا[٢].

مراسلات حسين- مكماهون

بعد الانقلاب الدستوري في الامبراطورية العثمانية في عام ١٩٠٨ عين الشريف حسين[٣] أميراً على مكة فأخذ يثبّت موقعه في الإمارة وسيادته على القبائل الحجازية ويسعى لاستقلال الحجاز والأراضي العربية الأخرى ويعترض على تشدد الاتحاديين في نظام الحكم المركزي.

بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ كان أمام العرب طريقين إما الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، وإما الثورة عليها وتحقيق استقلالهم عنها، وقد اتخذ الشريف الحسين قراراً يوفق بين الرأيين فأرسل مبعوثيه إلى بلاد الشام وإلى كبار الزعماء العرب ليطلعوا على حقيقة الجو العام ومدى الاستعداد للثورة[٤]كما قرر إبقاء صلته بالمندوب البريطاني هنري

مكماهون في القاهرة الذي كان له علم بتوتر العلاقة بين الحسين والعثمانيين.

بعد عودة الأمير فيصل ابن الشريف حسين إلى مكة موقعاً ميثاق دمشق الذي تعهدت فيه القوى العربية بدعم الثورة العربية ضد العثمانيين.

بدأت مراسلات الشريف حسين وهنري مكماهون[٥] في الرابع من تموز عام ١٩١٥ واستمرت حتى العاشر من آذار في عام ١٩١٦ وبلغ مجموع الرسائل المتبادلة فيها عشرة رسائل، وكان هدف البريطانيون منها اشعال فتيل الثورة ضد العثمانيين.[٦]

حملت الرسالة الأولى التي بعثها الشريف حسين إلى مكماهون مقترحات محددة بشأن حدود الدولة العربية التي طالب باستقلالها وأن توافق بريطانيا على إعلان خليفة عربي للمسلمين وألمح الشريف حسين أن تلك المطالب نهائية للبلاد العربية ولا يقبل العرب المساومة عليها.

حاول الشريف حسين ضمان استقلال الدولة العربية بوعد مكتوب من بريطانيا وضمان نفسه خليفة للعرب،اذ كان متخوفا من نكث بريطانيا وعودها للعرب، وفي الثلاثين من آب سنة ١٩١٥ بعث مكماهون برده على رسالة الشريف وموافقة بريطانيا بخلافته

للعرب[٧] ، إلا أنه حاول إقناع الحسين بتأجيل الكلام في مسألة الحدود المقترحة وكانت الحجة أن الموضوع سابق لاوانه.

وهنا تظهر نية بريطانيا المبيتة في عدم صدقها وعزمها باعطاء الاستقلال للعرب بعد انتهاء الحرب وتماديها بشكل واضح في تنفيذ سياسة السيطرة والتوسع في المناطق والمتمثلة في اتفاقيات ومعاهدات سرية على حساب العرب.

تركت تلك الرسالة أثراً سيئاً في نفس الشريف حسين فكتب إلى مكماهون رسالة يعرب فيها عن دهشته لتهربه في مسألة الحدود وهي مسألة جوهرية واوضح أن المفاوضات مع مكماهون تتوقف على أمر واحد وهو الحدود المقترحة [٨]، وأوضح له أن مراوغة بريطانيا تكمن في حرصها على عدم إزعاج فرنسا بسبب الأطماع الأخيرة في بلاد الشام فأجابه مكماهون برسالة في الرابع والعشرين من تشرين الأول في عام ١٩١٥ بتعهدات قوية في قيام الدولة العربية وحمايتها وهي التعهدات التي دخل على أساسها الشريف حسين الحرب إلى جانب بريطانيا، اذ تبين فيما بعد ان هناك مشاريع سرية بين بريطانيا وفرنسا لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية وعدم الايفاء بوعودهم مع العرب.

ردَ الشريف حسين يوم الخامس عشر من تشرين الثاني من السنة نفسها على مكماهون برسالة جاء فيها: "رغبًة في تسهيل الاتفاق وخدمة الاسلام واجتناب كل من شأنه تعكير صفو المسلمين واعتماداً على نوايا بريطانيا فإننا نتنازل عن إصرارنا على ضم مرسين وأطنة إلى المملكة إلا أنه نتمسك بولايتين حلب وبيروت. "غير أن مكماهون بعث إليه برسالة أصر فيها على استثناء حلب وبيروت من الدولة العربية[٩] ، وحث الشريف على بذل الجهود لإعلان الثورة، فعاد الشريف حسين إلى إرسال مكاتبة أخرى إلى مكماهون ابلغه فيها استعداده للتنازل عن منطقة غرب دمشق حلب وحمص علن أن يكون من حق العرب المطالبة بها بعد انتهاء الحرب تجنباً لإلحاق الضرر ببريطانيا وحليفاتها.[١٠]

حينئذ قدم الشريف حسين تنازلات عن بعض الاراضي العربية من اجل نيل موافقة بريطانيا لانشاء دولة عربية هو خليفتها ولم يفكر بمصير المناطق التي تنازل عنها ،فكان هذا التنازل بمثابة طعناً وتنازلاً لوحدة الارض العربية من اجل تحقيق المصالح الاخرى.

فبعث مكماهون في العاشر من آذار في عام ١٩١٦ رسالة إلى الشريف حسين بموافقة بريطانيا على جميع مطالبه، وهكذا انتهت المفاوضات بين الحسين

ومكماهون على موافقة الحسين باستبعاد محمية عدن ومرسين وجنوب العراق وحمص على أن يكون من حقه المطالبة بها بعد انتهاء الحرب(١١)

لم تفسر تلك الرسائل عن منح العرب أية مطالب إذ عمدت بريطانيا في الحرب العالمية الأولى إلى الاتفاق مع فرنسا على تقاسم الوطن العربي وهو الاتفاق الذي عرف باسم سايكس- بيكو وحصل الشريف حسين من ثورته تمجيد القوميين والغربيين له في كتب التاريخ بوصفه قائد الثورة العربية الكبرى.(١٢) نقضت بريطانيا وعودها اتجاه العرب بعد تحقيق مصالحها عند انتهاء الحرب واتباع سياسة جديدة أخرى لضمان تلك المصالح.

الثورة العربية في عام ١٩١٦

بعد تعهد بريطانيا بالتزاماتها نحو العرب في مراسلات حسين- مكماهون أعلن الشريف حسين بن علي ثورته ضد الأتراك باسم العرب جميعاً وكانت مبادىء الثورة العربية قد وضعت بالاتفاق بين الشريف وقادة الجمعيات العربية في سوريا في ميثاق قومي عربي غايته إستقلال العرب وإنشاء دولة عربية مستقلة متحدة تضم الجزيرة العربية والمشرق العربي.(١٣)

كانت مراسلات حسين- مكماهون أحد العوامل التي شجعت إلى قيام الثورة العربية فضلاً عن أسباب أخرى كدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوسط المتمثلة بالدولة العثمانية ،المانيا ، بلغاريا وامبراطورية النمسا والمجر فضلاَ عن السياسة التعسفية التي مارسها جمال باشا السفاح في سوريا(١٤) بإعدامه عدد من زعماء الحركة العربية ووصول قوة عثمانية قوامها (٣٥٠٠) جندي تحت ستار التوجه إلى اليمن وفي الحقيقة كانت متوجهة لشبه الجزيرة العربية لتحل محل القوات العربية الموجودة فيها كما ان سوء الإدارة وسوء الأحوال الاجتماعية ،الاقتصادية ، الصحية والتعليمية وظهور جمعيات وحركات تحرر واستقلال ورفض مطاليبها ومطاليب الحركة القومية (١٥)

كان لظهور الجمعية العربية الفتاة والجمعية القحطانية والمنتدى الأدبي وحزب اللامركزية وجمعية العهد وحزب الإصلاح،أثرا في تصاعد الشعور القومي والرغبة في التخلص من حكم العثمانيين.(١٦) كما أن أسلوب الاتحاديين بعد تسلمهم الحكم في عام ١٩٠٨ إذ كانوا من دعاة الطورانية ومحاولاتهم المس بالعقيدة الإسلامية وشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

كإلغاء حتمية الصلاة في المدارس الدينية الى جانب عملية استكشاف النفط في شبه الجزيرة العربية والعراق وجه الأنظار نحو المنطقة والسبب الأهم في ذلك الموضوع هو زرع الكيان الصهيوني في فلسطين بعد توقيع اتفاقية سايكس- بيكو بين الدول الغربية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى وبعد فشل كل المحاولات البريطانية السابقة بإقناع العثمانيين بالتخلي عن فلسطين.

تظافرت تلك العوامل والأسباب وأدت إلى إعلان الثورة العربية في ١٩١٦.[١٧] إذ تمكن أفراد القبائل الذين انضموا إلى الثورة من تفجير خط سكك قطارات الحجاز بمساعدة ضابط المخابرات البريطاني لورنس الذي أعدته بريطانيا عسكريا ليساعد الجيش العربي في الثورة ومنعوا وصول الدعم التركي إلى الحجاز ثم بدأت المعارك الحربية في جدة يوم الثالث عشر من حزيران وانهزمت الحامية التركية وسقطت مكة في التاسع من تموز في عام ١٩١٦، وبعد شهرين حرر العرب مناطق تقع في البحر الأحمر بين الحجاز، واليمن هي (الليث) و (أومليح)، وفي الثالث والعشرين من أيلول استطاعوا الاستيلاء على الطائف، وفي تموز عام ١٩١٧ سقط ميناء العقبة بيد الثوار.[١٨]

وفي تلك الأثناء احتل الجيش البريطاني بغداد فاحتج الشريف حسين، الا ان بريطانيا علقت على ذلك انه تدبير عسكري مؤقت وليس مهم سياسياً، في حين كانت تعد العدة لنقض وعودها وتقسيم المشرق العربي،[١٩] وبين عامي ١٩١٦-١٩١٧ انضم إلى جيش الشريف حسين عدد من الضباط الوطنيين من العراق وسوريا وفلسطين ممن كانوا في الجيش العثماني وتطوع الكثير من العرب في المشرق فوصل تعداد الجيش إلى (٧٠٠٠٠) مقاتل فقد انضم إلى الثورة أول ضابط عراقي عرف باسم شريف أفندي الفاروقي إذ كان ضابطاً في صفوف الجيش التركي في معارك الدردنيل واستطاع الهروب إلى البريطانيين فنقلوه إلى القاهرة أما الضابط الثاني فكان نوري السعيد الذي تطوع هو الآخر والتحق بالثورة.

استمر جيش الشريف في الزحف، فحرر بيروت وحلب وحماة وطرابلس وصيدا وصور وفي تشرين الأول الفت الحكومة العربية الأولى في بيروت.

تمكنت الثورة من طرد القوات العثمانية في الحجاز ومناطق شرق الأردن وساعد المجهود الحربي البريطاني عسكرياً وسياسياً في المشرق العربي. واقترب العرب من إقامة الدولة العربية الموحدة في

الجزيرة والمشرق، إلا أن بريطانيا بدأت تنفيذ مخططاتها في التجزئة والاحتلال بعقد اتفاقية سايكس-بيكو.[٢٠]

اتفاقية سايكس – بيكو في عام ١٩١٦:

لم تلزم بريطانيا بوعودها في مراسلات حسين- مكماهون اتجاه العرب فعقدت سنة ١٩١٦ اتفاقاً سرياً بين فرنسا وبريطانيا ومصادقة روسيا على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى وعرف ذلك الاتفاق باسم اتفاقية سايكس- بيكو- سازانوف في عام ١٩١٦.[٢١]

استمرت المفاوضات السرية بين تشرين الثاني في عام ١٩١٥ وآيار في عام ١٩١٦ بين المحامي الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو[٢٢] والبريطاني مارك سايكس[٢٣] وكانت على صورة تبادل وثائق تفاهم بين وزارات خارجية فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية آنذاك. وبعد وصول الشيوعيين إلى سدة الحكم في روسيا في عام ١٩١٧ كشف عن ذلك الاتفاق مما آثار الشعوب التي مستها الاتفاقية فأحرج موقف فرنسا وبريطانيا.

لقد عينت الحكومة الفرنسية جورج بيكو قنصلها العام السابق في بيروت مندوباً سامياً لمتابعة شؤون الشرق الأدنى، و قسم الهلال الخصيب بموجب الاتفاق وحصلت فرنسا على الجزء الأكبر من الجناح الغربي للهلال الخصيب سوريا ولبنان وجزء كبير من بلاد الأناضول ومنطقة الموصل في العراق أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها جنوب بلاد الشام الواقعة بين الخليج العربي والنفوذ الفرنسي في سوريا، كما تقرر أن تقع المنطقة التي اقتطعت فيما بعد من جنوب سوريا عرفت بفلسطين تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا، الا ان الاتفاق نص على منح بريطانيا مينائي حيفا وعكا على أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، وسمحت فرنسا لبريطانيا بالمقابل استخدام ميناء الإسكندرونة الذي كان يقع في حوزتها أما الجزء الباقي من فلسطين فخضع للإدارة الدولية وحصلت روسيا على الولايات الأرمينية في تركيا وشمال كردستان، واعترفت الاتفاقية بحق روسيا في الدفاع عن مصالح الأرثوذكس في الأماكن المقدسة في فلسطين.(٢٤)

تصريح بلفورعام ١٩١٧

بعد تطبيق ما نصت عليه اتفاقية سايكس- بيكو أخذت الدول الغربية تعد العدة لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

بدايات صدور التصريح

يعود ظهور الحركة الصهيونية كشكل سياسي منظم إلى فكرة تيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤) اليهودي المجري الذي نشر في كتابه في عام ١٨٩٦ "دولة اليهود" وعرض فيه مفهومه لجذور المسألة اليهودية ومن ثم وجهة نظره في حلها عبر إنشاء أمة يهودية مستقلة على أرض تمتلكها [٢٥] ،وكانت المنظمة التي أسسها في المؤتمر الصهيوني الأول في عام ١٨٩٧ من أجل تحقيق ذلك الهدف وأكد دور السياسة الدولية ودور الأمم للاسهام في وضع تلك المسألة في جدول الأعمال السياسة الدولية،[٢٦] أما المؤتمر الثاني الذي عقد أيضاً في بازل للمدة بين ٢٨ -٣١ آب سنة ١٨٩٨ وحضره (٣٤٩٥) مندوباً يمثلون (٩١٣) إتحاد صهيوني محلياً.

قرر المؤتمر تأسيس صندوق الاستيطان اليهودي كما أعيد انتخاب هرتزل رئيساً للمنظمة. وعقد المؤتمر الثالث في بازل للإيام ١٥-١٨ آب عام ١٨٩٩ وقد افتتح هرتزل المؤتمر بتقرير عن لقاءاته مع قيصر ألمانيا في

القسطنطينية ، وزيارته الى القدس . واتخذ المؤتمر قراراً بمنع استعمال أموال الصندوق لعمليات خارج فلسطين وسوريا وقرارات سياسية أخرى.

استمرت المؤتمرات الصهيونية بالانعقاد سنوياً إذ كانوا يقتربون أكثر فأكثر في تحقيق هدفهم،(٢٧) ففي المؤتمر الصهيوني السادس في الرابع والعشرين من آب في عام ١٩٠٣ أعلن ماكس نوردو زميل هرتزل بأن أربع دول قوية مسيطرة على العالم أعربت عن عطفها اتجاه الحركة صهيونية(٢٨) فالامبراطورية الألمانية أبدت استعدادها العملي لمساعدة الصهيونية، والحكومة الروسية (القيصرية) أعلنت خططها لمساعدة الصهيونية أما الولايات المتحدة الأمريكية اتخذت خطوات دبلوماسية اوحت بالأمل بأنها ستكون عطوفة في الوقت المناسب.(٢٩)

لم يتوقف دور المنظمة الصهيونية بعد موت تيودور هرتزل، بل استمر بشكل أقوى وأدق. وبعد اتفاقية سايكس- بيكو التي وضعت فلسطين تحت الوصاية الدولية عمد قادة الحركة الصهيونية وعلى رأسهم اللورد روتشيلد(٣٠) وحاييم وإيزمن(٣١) لإجراء اتصالات مع بريطانيا أدت إلى إصدار تصريح بلفور.

استمرت الضغوطات الصهيونية والمؤامرات الدولية دون توقف ومرت بمراحل عدة للتمهيد لصدور تصريح بلفور. وبعد تعيين هربرت صموئيل(٣٢) كأول مندوب سامي بريطاني لفلسطين أعلن بمشروعه بضم فلسطين إلى الامبراطورية البريطانية وتوطين ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي فيها لتحقيق التحالف بين الفريقين خدمة للمصالح البريطانية وأن تلك الدولة الجديدة انذاك ستكون خط الدفاع عن قناة السويس فضلاً عن استمرارية تجزئة الوطن العربي.

كان وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور(٣٣) من أكثر المتحمسين للفكرة الصهيونية وحاول إقناع أعضاء حكومته في اجتماعهم يوم الرابع من تشرين الأول في عام ١٩١٧ بأن يهود روسيا وفرنسا يدعمون فكرته بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين معتمداً على تقارير من الصهاينة المقيمين في لندن ومتجاهلاً التقارير الرسمية من مندوبي وسفراء الحكومة في قلب الحدث، ففي اجتماع الوزارة البريطانية في الحادي والثلاثين من تشرين الأول عام ١٩١٧ أوضح بلفور "وطن قومي لليهود" "...يعني شكلاً من أشكال الحماية البريطانية أو الأمريكية أو غيرهما ستتوافر لليهود في ظلها خدمات وتسهيلات

كافية تتيح له بناء مقومات خلاصهم الذاتي فيرسون بالمؤسسات التربوية والصناعية قواعد مركز حقيقي للثقافة القومية."(٣٤)

بدأت المباحثات البريطانية- الصهيونية في شباط عام ١٩١٧ تم صيغت فيها ست مسودات لتصريح بلفور هي الآتية:

المسودة التمهيدية لوزارة الخارجية البريطانية المعدة في حزيران عام ١٩١٧ كانت الألفاظ الرئيسة عندما أعدت هذه المسودة هي: اللجوء والملجأ والتصور أن تعلن الحكومة البريطانية تحبيذها لكي ينشأ في فلسطين "ملاذ لضحايا الاضطهاد من اليهود". واحتج على تلك الصيغة ناحوم سوكولوف عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية بقوله: "لن تلبي حاجات القضية إطلاقا."

المسودة التمهيدية الصهيونية في الثاني عشر من تموز في عام ١٩١٧ : نصت على أن الحكومة البريطانية "تقبل بمبدأ الاعتراف بفلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودي وحق الشعب اليهودي في بناء صرح حياته القومية بفلسطين تحت ظل حماية تجري إقامتها عند إبرام الصلح وعقب انتهاء الحرب بنجاح "منح الاستقلال الداخلي للقومية اليهودية بفلسطين، و حرية

الهجرة لليهود." ولم يجر تقديم تلك المذكرة رسميا، ولذلك صرح سوكولوف في رسالة تفسيرية إلى اللورد روتشيلد بوجوب النص على مبدأين أساسيين هما: الاعتراف بفلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودي، والاعتراف بالمنظمة الصهيونية.(٣٥)

المسودة الصهيونية في الثامن عشر من تموز في عام ١٩١٧ نصت على ما يأتي: ١- إن حكومة جلالة الملك تقبل المبدأ القائل بأنه يجب تحويل فلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودي ٢- سوف تبذل حكومة جلالته أفضل مساعيها لضمان تحقيق ذلك الهدف، وسوف تبحث في الطرائق والوسائل اللازمة مع المنظمة الصهيونية.

مسودة بلفور المقدمة في شهر آب في عام ١٩١٧ نصت على ما يأتي: إن حكومة جلالته تقبل المبدأ القائل بإعادة تكوين فلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودي. وهي سوف تستخدم أفضل مساعيها لضمان تحقيق هذه الغاية، كما أنها على استعداد للنظر في أية مقترحات حول الموضوع قد ترغب المنظمة الصهيونية في عرضها عليها.

مسودة ميلنر المقدمة في شهر آب من عام ١٩١٧ نصت على ما يأتي: إن حكومة جلالته تقبل المبدأ القائل

بإتاحة كل فرصة ممكنة لإقامة وطن بفلسطين للشعب اليهودي، وسوف تستخدم أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، كما تكون مستعدة للنظر في أية مقترحات حول الموضوع قد ترغب المنظمة الصهيونية في عرضها عليها.

مسودة ميلنر-آمري في الرابع من تشرين الاول في عام ١٩١٧ نصت على ما يأتي: إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي في فلسطين للجنس اليهودي، وسوف تبذل أقصى مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا بأنه لن يؤتى بعمل من شأنه إلحاق الأذى بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة بفلسطين، أو الحقوق والمكانة السياسية التي يتمتع بها في البلدان الأخرى أولئك اليهود الذين يشعرون بقناعة تامة إزاء جنسيتهم ومواطنيتهم الراهنة.(٣٦)

ادت تلك المسودات الى تظافر المواقف البريطانية المؤيدة لهذه المسودات مما عجل صدور تصريح بلفور في الثاني من تشرين الثاني في عام ١٩١٧ التي جاء فيه :

عزيزي اللورد روتشيلد : " يسرني جدًا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذي ينطوي

على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته .. إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليًا أنه لن يُؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر وسأكون ممتنًا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علمًا بهذا التصريح."

المخلص : آرثر جيمس بلفور

كان هذا البيان في رسالة قصيرة موجهة من وزير الخارجية البريطاني اللورد آرثر بلفور لزعيم الحركة الصهيونية اللورد روتشيلد، اعلن فيها عن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.(٣٧)

لو اجرينا نظرة فاحصة وتحليل مفصل لتصريح بلفور و الذي أثار الجدل من حوله فقد كان الخطوة الاولى للخلاص من اليهود، وإبعادهم عن أوروبا

والتخلص من نبوءاتهم وبروتوكولاتهم، أم خوفًا من الإسلام، وربما مؤامرة تتعلق بالحفاظ على النفط ليدفع العرب في النهاية ثمن كره العالم لليهود بأبهض الاثمان. كما لم يذكرالوعد فكرة إنشاء دولة يهودية وإنما وطن يعيشون فيه جنبًا إلى جنب مع الفلسطينيين وغيرهم من العرب. فيما أشار الجزء الثاني من الإعلان إلى حماية بريطانيا لحقوق الفلسطينيين، وغيرهم من العرب بتأييدها الحكم الذاتي العربي إلا أن الوعد لم يذكر إلى كيفية ضمان هذه الحقوق.

قبل تصريح بلفور كان الحديث عن إنشاء وطن قومي لليهود قديما، إلا أن بعضهم قد يتعجب من أن فلسطين لم تكن هي الخيار الأول المقترح رغم مزاعم الارتباط اليهودي بفلسطين.

فقد اقترح رئيس الوزراء البريطاني تشامبرلين منطقة العريش بصحراء سيناء المصرية، بينما اقترح بلفور أوغندا، والذي قوبل بالرفض من المؤتمر الصهيوني السادس بدعوى أن أوغندا لن تجذب اليهود للهجرة إليها. تلا ذلك مجموعة من الخيارات شملت كندا، والأرجنتين، وجنوب أفريقيا وغيرها، قوبلت جميعها بالرفض من خبراء الصهيونية.

وهذا يثير التساؤل حول إذا كانت فلسطين هي أرض الميعاد بالفعل، فلا داعي لتباحث الساسة في أمر اختيار وطن محتمل من بين دول عدة، مما يحدونا للتفكير في أسباب تسخير الحكومة البريطانية ما في وسعها لتحقيق هذا الهدف.

وتتلاشى هذه الدهشة بعد معرفتنا أن بلفور رأى في ترحيل اليهود إلى فلسطين فرصة للتخلص من الهجرة اليهودية لأوروبا وطردهم خارجها، لفشل اليهود في الاندماج بأي مجتمع يعيشون كبريطانيا ، ألمانيا ، وفرنسا ، والنمسا وإسبانيا.

فقد وجدت تلك الدول عدم قابلية اليهود للتعايش، الذي يرجع إلى إيمان اليهود وعقيدتهم أن بقية البشر من غير دينهم خلقوا لخدمتهم، على وفق بروتوكولات حكماء صهيون.

كما وافق تصريح بلفور بريطانيا في مقاومة الهيمنة الروسية، بجانب أطماعها تجاه الدولة العثمانية، ورغبتها في تقسيمها، وطموحاتها الإمبريالية باستخدام دولة اليهود الموعودة لخدمة مصالحها في المنطقة العربية،لذا منحت بريطانيا تصريح بلفور بتأسيس الوطن القومي لليهود، كسبًا للدعم اليهودي في الحرب العالمية الاولى، وحمايةً لمصالحها بتثبيت وجودها في

مصـــر، وحراســـة قنـــاة الســـويس، وتـــأمين خطـــوط مواصـلاتها إلـى الهنـد والطريـق إلـى الشـرق الأقصـى، وإقامـة جسـر يصـل لحقـول الـنفط العراقيـة. بجانـب مواجهة أطماع فرنسا في سوريا ولبنان.

سـارعت دول أوروبـا فرنسـا، إيطاليـا، والولايـات المتحـدة الأمريكيـة بتأييـد هـذا التصـريح ومباركتـه فقـد صادق الرئيس الأمريكي ولسن رسمياً علـى وعد بلفور في رسالته التي بعث بها إلـى زعيم الصـهيونية اليهوديـة فـي أمريكـا قـائلاً " ... اغتـنم الفرصـة لا عبـر عـن الارتياح الذي أحسست به نتيجة تقدم الحركة الصـهيونية فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة والـدول الحليفـة وفـي كـانون الأول عـام ١٩١٧ دخلـت الجيـوش البريطانيـة بقيـادة الجنـرال (اللنبـي) القـدس قـائلاً "الآن انتهـت الحـروب الصـليبية"،اذ كـان موقـف القـوات العثمانيـة الموجـودة فـي القـدس ضـعيف جـدا وبـدأت فـي تنفيـذ تصريح بلفور عملياً وحدثت على أثر ذلك صدامات بين العـرب واليهـود وتشـكلت الجمعيـات العربيـة ضـد المشروع الصـهيوني وتنفيذه. كمـا عقد المؤتمر العربـي الفلسطيني الأول في السابع والعشرين من كـانون الثـاني سنة ١٩١٩ الذي حدد بفصل فلسطين عن بلاد الشام كما شكلت حكومة وطنية فلسطينية.

استمر الدعم البريطاني للحركة الصهيونية فأصدر نظام الانتداب على فلسطين في الحادي والثلاثين من أيلول في سنة ١٩٢٠ في مؤتمر سان ريمو وبعد ثلاثة أيام كشفت بريطانيا عن نياتها بشكل رسمي بتنفيذ تصريح بلفور وإنشاء وطن قومي لليهود.(٣٨)

عدُّ تصريح بلفور الدعامة الأولى للكيان الصهيوني ما يسمى إسرائيل إذ اتخذت الحركة الصهيونية العالمية وقادتها من هذا التصريح مستندًا قانونيًّا لتدعم به مطالبها المتمثلة، في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، وتحقيق حلم اليهود بالحصول على تعهُّد من إحدى الدول الكبرى بإقامة وطن قومي لهم، يجمع شتاتهم بما ينسجم وتوجهات الحركة الصهيونية، بعد انتقالها من مرحلة التنظير لأفكارها إلى حيز التنفيذ.

الخاتمة :

كانت بريطانيا توزع الوعود ذات اليمين وذات اليسار، وكان جوهرها كله هو وراثة الإمبراطورية العثمانية، الذي كان معروفاً وقتها برجل أوروبا المريض، فوزعت على اليهود والعرب والفرنسيين واليونانيين، وغيرهم أيضاً حسب ما كان تفرضه نتائج الحرب.

المؤكد أن الوعود البريطانية كانت كلها متضاربة، بل متناقضة مع بعضها بعض، الفيصل فيما حدث في الواقع اعتمد كثيراً على قدرة الأطراف الأخرى، فكان اليهود هم الأكثر نجاحاً فعرفوا كيف يحولون الوعد إلى تصريح بالهجرة، وعرفوا كيف يحولون الوطن القومي إلى دولة قومية.

وادركت بريطانيا ان نظرية حل المسألة اليهودية لن يتم بالهجرة والاستيطان فحسب، وإنما أيضا بمساعدة واعتراف دولي يضمن الحقوق القومية لليهود ، فكانت سياساتها منصبة على الاحداث التي رافقت اعلان تصريح بلفور، فكانت الاتفاقيات السرية بين دول الغرب لاقتسام الهلال الخصيب في هي اول مقدمات تنفيذ التصريح .

عدُّ تصريح بلفور الدعامة الأولى للكيان الصهيوني ما يسمى إسرائيل،اذ اتخذت الحركة الصهيونية العالمية وقادتها من ذلك التصريح مستندًا قانونيًّا لتدعم به مطالبها المتمثلة، في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، وتحقيق حلم اليهود بالحصول على تعهُّد من إحدى الدول الكبرى بإقامة وطن قومي لهم، يجمع شتاتهم بما ينسجم وتوجهات الحركة الصهيونية، بعد انتقالها من مرحلة التنظير لأفكارها إلى حيز التنفيذ.

وبعد قيام إسرائيل زعم الإسرائيليون أن كيانهم السياسي الاستعماري الاستيطاني يتمتع بالشرعية القانونية الدولية، وذلك على اعتبار أن تصريح بلفور وصك الانتداب البريطاني على فلسطين اعترفا بالأمرين التاليين للصلة التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين ، وحق الشعب اليهودي في إعادة تأسيس وطنه القومي.

هوامش البحث

١- هربرت فيشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠ ، تعريب احمد نجيب ووديع الضبع ، القاهرة ، دار المعارف،١٩٧٢ ،ص٥٠٧.

٢- بان غانم احمد،العلاقات العثمانية – الالمانية ١٨٨٢ – ١٩١٨ دراسة تاريخية، دكتوراه، جامعة الموصل،٢٠٠١، ص ٢٧٦.

٣- ولد الشريف حسين بن علي في الاستانة سنة ١٨٥٣ في منفى والده، فقد كان طفلاً عند رحيله الى مكة المكرمة تفقه وتعلم فيها ثم نفي إلى اسطنبول لاستنكاره المظالم التي كانت تقع على الناس ثم عين شريفاً على مكة المكرمة سنة ١٩٠٨: الموسوعة المعرفية الشاملة،٢٠٠٠، ص ١٨.

٤- كليب سعود الفواز، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين ١٩٠٨-١٩١٨، لبنان،بلا ، ص١١٣

(١٨٦٢ – ١٩٤٩) Arthur Henry McMahon

٥- ارثر هنري مكماهون:

هو دبلوماسي بريطاني وضابط بالجيش الهندي خدم كمندوب سامي لبريطانيا في مصر من ١٩١٥حتى ١٩١٧، وخدم مرتين ككبير مفوضي في بلوچستان. هربرت فيشر، المصدر السابق،ص٥٣٤.

٦- رياض حسين ، مراسلات حسين – مكماهون، جريدة الملتقى المقدسي، العدد ٧، ٢٠٠٩، ص٦

٧- زين نور الدين زين، الصراع الدولي على الشرق الأوسط وولادة دولة سوريا ولبنان، بيروت، دار النهار، ١٩٧٦ ص٣٢٧

٨- رياض حسين،المصدر السابق، ص٨

٩- محسن النجدي، مراسلات حسين – مكماهون، جريدة الحكمة، العدد ١٢، ٢٠٠٩، ص١٢

١٠- زين نور الدين زين،المصدر السابق ، ص٣٢٨-٣٣٠

١١- المصدر نفسه، ص٣٣١

12.A. khawia, contact us sharif Hussien – Henry Mcmahon, N.P., 2007, P.P 8-9

١٣- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب العربية، لبنان، بلا، ص٧٥٠

١٤- ولد جمال باشا (١٨٧٣- ١٩٢٢) في استنبول وانتسب إلى المدرسة الحربية وتخرج فيها ضابطاً في ١٨٩٥م. عُيّن في الجيش الثالث المرابط في (سالونيك) اليونانية، وفي هذه المدينة بدأ جمال نشاطه السياسي وتعرّف عدداً من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التركية ، وصار عضواً فيها عام ١٩٠٦، وهو أحد الباشوات الثلاثة: أنور وطلعت وجمال. وهو من زعماء جمعية تركيا الفتاة وجمعية الإتحاد والترقي. وقد عين في سوريا عام ١٩١٥ وفرض سلطانه على بلاد الشام وأصبح الحاكم المطلق فيها. وقاتل البلغار في مقدونيا واشترك في الانقلاب على السلطان عبد الحميد. وشغل منصب وزير الأشغال العامة ١٩١٣ ثم قائداً للبحرية العثمانية عام ١٩١٤. جورج انطونيوس، يقظة العرب، لبنان، بلا، بلا، ص٣٥٥-٣٥٨؛ سرجون محمد، أسباب الثورة العربية، مجلة ستوب، العدد ٤، ٢٠٠٨، ص٣

١٥- البرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، لبنان، بلا، بلا، ص١٧٧

١٦- جورج أنطونيوس،المصدر السابق ، ص٣٥٥-٣٥٨

١٧- الملك عبد الله بن حسين، الآثار الكاملة، لبنان، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣، ص١٢٩

١٨- أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، مصر، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٧، ص١٥٣-١٢٢

19- British Foreign Office, Records of the Office of the Prime Minister, (Divisions), end 1916, p. 162

٢٠- محمد ظاهر العمر، مقدرات العراق السياسية، بغداد، ج١، ١٩٢٥، ص٢١٩-٢٢١.

٢١- مذكرات كلوب باشا، جندي مع العرب، ترجمة عفيف حسن الصمدي، دار النشر للجامعيين، بلا، ص١٠

٢٢- نجدة فتحي صفوة، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب بغداد، بلا، ط٢، ١٩٨٤، ص٨١

٢٢- فرانسوا جورج بيكو:(١٨٧٠- ١٩٥١) محام ودبلوماسي فرنسي ولد في باريس أصبح جورج بيكو محامياً في محكمة الأستئناف في باريس عام ١٨٩٣، ثم انضم للسلك الدبلوماسي عام ١٨٩٥، وعُيّن في مديرية السياسات عام ١٨٩٦ كان جورج بيكو واضحا في تأييده المطلق للمنطق الاستعماري وتعزيز الوجود الفرنسي في مناطق ما وراء البحار.نجدة فتحي صفوة،المصدر السابق ، ص٨٢-٨١ .

٢٣- مارك سايكس :(١٨٧٩-١٩١٩) سياسي بريطاني ، كان أرستقراطيا خلف أباه سنة ١٩١٣ البارون السادس لمقاطعة تفوق مساحة ضيعاتها ١٢٠ كيلومترا مربعا في مقاطعة يوركشير ، التحق بالجيش بعد تخرجه من جامعة كمبردج سنة ١٨٩٧، تحدث العربية والتركية والفرنسية وكتب بها، وأهم كتبه (دار الإسلام) و(رحلة في الولايات العثمانية الخمس). لقيت مذكرات الرحالة رواجا ولعبت دورها، كتحليل سياسي وتاريخي اجتماعي ثقافي، في رسم السياسة الخارجية لبريطانيا. هنري كيسنجر، المصدر السابق، ص٢٨٨- ٢٨٦

٢٤- ملف وثائق فلسطين من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٤٩، وزارة الإرشاد القومي، بلا، ص٢١٧-٢١٨

إبراهيم حمامي، قرنان على وعد بلفور، مجلة عرب ٤٨، بلا عدد، ٢٠٠٨، ص٤-٦.٢٥-

٢٦- هشام الدجاني، اليهودية والصهيونية، ط، ، بيروت، دارالحقائق للنشر،١٩٨١، ص١٥

٢٧- ابراهيم حمامي، المصدر السابق، ص٧

28 -British Foreign Office, Letter from British Chancellor Barclay to Mr. Balfour, October 15, 1917, p. ٦4 .

٢٩- لويد جورج، الحقيقة حول معاهدات الصلح، لندن، بلا، م٢، ١٩٣٨، ص١١١٥

٣٠- تعد عائلة روتشيلد إحدى العائلات ذات الأصول اليهودية الألمانية، تأسست على يد إسحاق إكانان، وأما لقب "روتشيلد" فهو يعني "الدرع الأحمر"، في إشارة إلى "الدرع" الذي ميز باب قصر مؤسس العائلة في فرانكفورت في القرن السادس عشر.هشام الدجاني ،المصدر السابق ،ص٤٥.؛ الموسوعة الفلسطينية، المجلد الرابع، ص ٣٦٠.

٣١- حاييم وايزمان :(١٨٧٤ – ١٩٥٢) ولد في روسيا، وكان فاعلا في الحركة الصهيونية منذ بدايتها، شارك عام ١٩٠٣ في تأسيس الكتلة الديمقراطية

التي نادت بالصهيونية العملية، وفي عام ١٩٠٤ هاجر إلى بريطانيا حيث حصل على شهادته الجامعية في الكيمياء من جامعة مانشستر ، ساهم في المناقشات التي أدت إلى صدورتصريح بلفور عام ١٩١٧ . س.ب سكوت، التجربة والخطأ، الولايات المتحدة الأمريكية، مطبعة نيويورك شوكن، ١٩٦٦، ص١٤٩

(١٨٧٠-١٩٦٣) ولد في ليفربول واكمل دراسته في جامعة أكسفورد Herbert Samuel٣٢- هربرت صموئيل

انضم إلى الحزب الليبرالي ورشح نفسه للانتخابات سنة ١٩٠٢، وتدرج صمويل في عدد من الوظائف إلى أن أصبح وزيراً في الوزارة البريطانية، وكان بذلك أول إنجليزي يهودي يشغل مثل هذا المنصب. هشام منور، وعد بلفور الحقائق والدوافع، جريدة الوقت، العدد ٩٩٧، ٢٠٠٨، ص٨-١

(١٨٤٨-١٩٣٠) ولد في اسكتلندا وبعد أن أنهى دراسته الأولية Arthur James Balfourارثر جيمس بلفور ٣٣-

،التحق بالدراسات العليا في جامعة كامبريدج ، انتخب بلفور لأوّل مرة في البرلمان سنة ١٨٧٤، وعمل وزيراً أوّلا لاسكتلندا عام ١٨٨٧، ثم وزيراً رئيساً لشؤون إيرلندا من عام ١٨٨٧ - ١٨٩١، ثم أول رئيس للخزانة من عام ١٨٩٥ - ١٩٠٢، ورئيساً لوزراء بريطانيا من عام ١٩٠٢ – ١٩٠٥، عمل أيضاً وزيراً للخارجية من ١٩١٦ إلى ١٩١٩ في حكومة ديفيد لويد جورج. اشتهر بإعطاء وعد بلفور الذي نص على دعم بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

وليد العوض، وعد بلفور، الحوار المتمدن، العدد ٢٠٩٢، ٢٠٠٧، ص٢-٤

٣٤- المصدر نفسه، ص,٤

35 - British Foreign Office, Letter from British Foreign Secretary Lord Arthur Balfour to Lord Rothschild, October 1917.

٣٦- جورج جيبور، وعد بلفور، دمشق، بلا، ٢٠٠٩، ص٢٠٧-٢١٠ . ؛ صلاح عودة الله، وعد بلفور، جريدة التجديد العربي، العدد ٣٠، ٢٠٠٨، ص,٢

٣٧- وليد العوض،المصدر السابق،ص,٦

٣٨- جورج جيبور ،المصدر السابق،ص٢٢٤.

الملاحق

السير هنري مكماهون

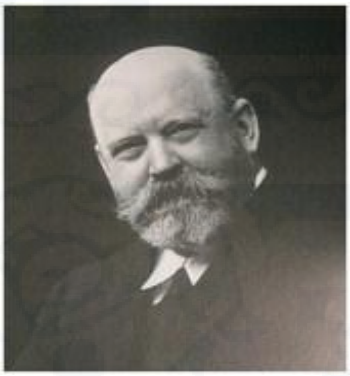

اللورد روتشيلد

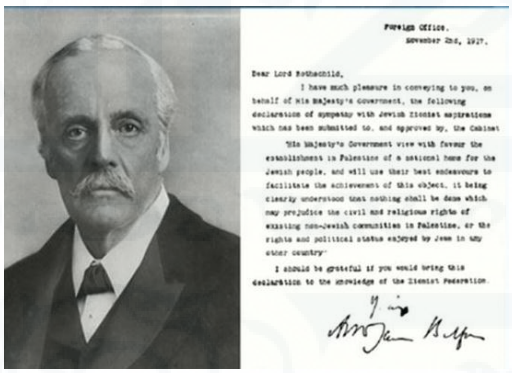

Foreign Office.
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

'His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country'

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

نص رسالة بلفور الى روتشيلد